مجملها حول مطابقة الكلام لمقتضى الحال أحيانًا ، وتتبع المعنى الواحد في صياغاته المتعددة أحيانًا أخرى ، وإن كان المؤكد تحرُّك الدلالة البيانية وراء الملازمات بين المعاني ، فلا مجال لها داخلَ المواضَعَة ، وإنما مجالها حركة العقل وانتقاله من مستوى إدراكي إلى آخر .

ومن هنا كانت (الصور البلاغية) منوطة بحركة العقل ؛ لأن الإدراك العقليَّ هو وحدَه القابل للتحرُّك والاهتزاز ، ونقل اللفظة من استعمال مألوف إلى آخر غير مألوف ، تبعًا لإمكانات رؤية الشاعر للوجود حوله ، أي أنه سيكون هناك مستويان أحدهما ثابت فيما يحيط بالشاعر ، والآخر متغير في إدراكه الذهني له ، والتوفيق بينهما يتم بخلخلة الصياغة من مجال المواضَعَة إلى مجال الملازمات .

ويبدو أن الطابع الثنائيَّ هو الذي سيطر في مجال الرصد البلاغي للصور ، فالتشبيه لا يمكن أن يفرز دلالته إلا من خلال ثنائية تكوينه ، فلا بد من وجود طرفين بينهما علاقة جَدَلية ، وهذه العلاقة تحول دون التطابق التام أو التمايز التام بينهما ، بل لابد من وجود عناصر اتفاق واختلاف تحقق بينهما (الصفة الجامعة) التي تتسع لمختَلِف الإدراكات الحسية والعقلية ، والمتخيلة والمتوهمة .

ويمتد هذا الإدراك الثنائي إلى الاستعارة ، مع بروز عمليتين فنيتين ، إحداهما إسقاط أحد الطرفين ، والأخرى تضمين المذكور معنى المحذوف ، مع تلازم هاتين العمليتين للنقل والمبالغة والادعاء .